الباب الثالث

مسرح الطفل

الرؤية النقدية، وأنماطه المختلفة وتقنياته الفنية

الفصل الأول

مسرح الطفل فى إطار النقد المسرحى

قد يستطيع كاتب ما أن يقدم مسرحا للكبار، فيدفع بقرائه، ومشاهدى مسرحه إلى أفكار دون أن يكون لهم شرط مسبق يفرضونه على القائمين بامر المسرح كتابة، أو إخراجا، أو تمثيلا..ولا يخرج النص – حينئذ – عن أن يكون نسيجا، من العلاقات اللغوية المركبة، التى تعمل على توليد الجمل، والأساليب. ومن ثم الأفكار، كما لا يخرج العرض المسرحى – آنئذ – عن كونه فن الإلقاء والتعبير الحوارى، القائم على نشاط الممثل، وتوجهات المخرج. أما «مسرح الطفل» فإنه يفرض شروطه مسبقا. وعالم الأطفال، يقود القائمين على أمر «مسرح الطفل»؛ فإنه يفرض شروطه مسبقا. وعالم الأطفال، يقود القائمين على أمر «مسرح الطفل»؛ ليحققوا مطالب الطفولة، وغايات المجتمع فيهم، وأهداف التاريخ فى حقيقة وجودهم، ومستقبلهم. ومسرحهم لذلك ذو خصوصيات، وتنمو فى حضانته فنون الموسيقا، والرقص، والقص، والحوار، والفن التشكيلى، والغناء. والأطفال لذلك يكونون فى رحاب المتعة، والفرجة، والتسلية، وموضوع ينطوى – دون قصد – على فكرة تربوية ، أو ثقافية، أو حضارية.

والمسرح لذلك يسمى بالمسرح الشامل. كما أن التمثيل يقوم فى مسرح الطفل على التقمص الكامل للشخصيات التى يحمل لها الطفل معادلا فى خياله، كما ان الفعل التمثيلى يمتلك خصوصية التوجه، والكشف، والتعليم، لأنه إلقائى تعبيرى، حركى. فشمول المسرح، واشتماله على فنون كثيرة، واقترابه من فن الاستعراض، و«الأوبريتات»، ثم خصوصية عنصر التمثيل، وسيطرة عنصر الفرجة عليه، يجعله متميزا عن مسرح الكبار، ويجعل له نظرية نقدية قادرة على تتبع نشأة «أدب الطفل»، وتطوره، وتنوعه، وامتيازه بمقومات، تجعله اكثر خصوصية ونوعية، ثم الكشف عن هذه المقومات، وتقديمها للمبدعين؛ كى تكون خبرة متاحة، وتجارب مسبوقة..وخلفية يمنح منها الكاتب أهم خصوصيات الطفولة.

ومن تلك الخبرات والتجارب، والتلقى عن عالم الطفولة تتكون الحساسية المرهفة. التى تيسر له أن يستشعر مطالبها واحتياجاتها من المفردة، والمعنى والوزن، والحبكة الفنية. والموضوع الخاص، والشخصيات الفاعلة والأشكال الفنية ذات المستوى الإبداعى الخاص. ويمكن التعرف على هذا المستوى النقدى لمسرح الطفل فى الموضوعات التالية:

أولا – التكامل المسرحى :

وأعنى بالتكامل، حاجة كل عنصر إلى غيره، بحيث لا يمكن تقديم عنصر واحد، ليفى بالهدف المسرحى المنشود من مسرح الطفل. «مسرح الطفل»، يتميز بخصوصيات التخاطب مع قدرات النمو، والاستعدادات، والنزوع، ومن ثم فهو مسرح نوعى، تربوى هادف، موظف..والفن الذى ينطوى عليه هذا اللون من المسارح موجه، ومتوجه، هو موجه من قبل القائمين عليه، ومتوجه بأعماله إلى غاية وهى عالم الطفل ويحمل خطابا – بحكم عناصره، ومكوناته – إلى عالم الأطفال، ومن يتعاملون، مع هذا العالم..وهو فوق هذا ينقسم إلى نوعين من الفن المسرحى: فن حسى، وفن مسرحى درامى. فالحسى ما يقوم على الفرجة والمشاهدة أصلا، والدرامى هو ما يقوم أصلا على تتبع العلاقات وإجهاد العقل والفكر.

الأول: يتميز بمضمونه الفنى الهادف إلى المتعة، والإثارة؛ ومفاجأة الحواس بما يبهر باللون الصارخ، والرقص، والرسوم الزاهية، والموسيقا المرحة، والحركة الطليقة، والملابس الفضفاضة المزركشة، والمحاكاة، والتقليد لأصوات الطيور والحيوانات وظواهر الطبيعة.

والثانى: يهتم بإبراز الفن العاطفى المرهف، والتعليمى، والإرشادى، والمحافظة على الأشكال الفاضلة للمجتمع، والتأكيد على الصدق الفنى، والنفسى، والخلقى، والقيم الملموسة، والحركة الرشيقة بإيقاعها الحسن الإيقاع، والتخيل

الحالم بطيرانه الناعم المنسل فى الأجواء، أو بالتخيل الحالم بكثافته العاطفية، وزخمه الممتلئ بالرونق، والبهاء. ويحاول هذا اللون من المسرح أن يجعل واقع الأطفال غنيا، وخصبا بالمعانى النبيلة، وفى الوقت نفسه بالألوان، والأضواء، والموسيقا الحالمة، والخيال الممتع.

فالأول: ميدانه: مسرح المشاهد، والثانى: ميدانه: المسرح الذهنى والأول، ميدانه وأولياته: الشرق بعامة، واليابان، والصين، والهند بخاصة، والثانى، ميدانه وأولياته: الغرب بعامة، واليونان، والرومان، بخاصة. ويمكن الاستعانة باللونين؛ تحقيقا لمراحل نمو الطفل.. وقد يمكن الجمع بين اللونين (الحسى الملى بالزخرف الحافل بالصور، والمسرح الذهنى المقيد بالقوانين... حيث مناط التأثير والفاعلية فى الضبط، والإحكام، والدقة التقليدية، وفى تلك الرمزية المفهومة غير الملتوية والتألق الشديد الذى يحاسب على الصغيرة، والكبيرة ميدان الفن الموشى الذى وضعت خطته بعد تفكير فيه نصيب كبير من المهارة، وليس هذا الفن السريع التلقائى الخالى من الصنعة)[١]. والذى لا يحمل رؤية فنية تعبيرية.

والمسرح الذى يقدم للطفل على رغم تفاوت عناصره، وأركانه كثرة، وقلة، حضورا، وغيابا، وجودا، وعدما يتكامل دائما بعناصره، وأركانه، ومقوماته الحسية والذهنية، الشكلية، الفنية، والعقلية التجريدية، كما أن «مسرح الطفل» بهذا المفهوم، ليس مكتفيا بالنص المسرحى الجيد الذى ليس بحاجة إلى تجسيده، وتمثيله، أى أن المسرح حينئذ هو مسرح «مشاهد» لا مقروء، أو مسموع، اذ لابد من أن تتكامل عناصره وأركانه لأن (فن المسرح ليس هو التمثيل، ولا النص، وليس هو المنظر، ولا الرقص، ولكنه يتكون من كل هذه العناصر، التى تؤلف هذه الأشياء[٢]. كما أنه يحمل رسالة، ويريد أن يقولها عن طريق شكله المتكامل، وفى ضوء الاحتياجات، التى تفرزها الطفولة.

---

(١) تاريخ المسرح: شلدون تشينى ترجمة درينى خشبة ص ١٥٥ مطبوعات وزارة الثقافة.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٦.

هكذا ينبغى أن يلتزم «مسرح الطفل» بإرضاء جميع الأطفال بمستوياتهم، وبمراحلهم المتلاحقة...يرضيهم فنيا، وأخلاقيا، وفكريا، ويقدم لهم المتعة والتسلية لكن دون حدود فاصلة فى النوعيات، والمستويات، التى تتكامل، مع عالمهم ذى الخصوصية الشديدة، وتلك الخصوصيات المتعددة للأطفال المشاهدين...كما ينبغى التركيز على الجانب الإيجابى، والأخلاقى، والتاريخى، حتى يمكن نفى الصفة التى صاحبت ورافقت نشأة المسرح، وجعلته صورة منافية لكل الفضائل لدى الأوروبيين القدامى...

وحتى لا يكون العرض المسرحى للأطفال، يتجه إلى الوعظ والإرشاد المباشرين، فإنه يقوم على مجموعة من العروض الفنية، التى تتوزع على خشبة المسرح بشكل فنى شامل، يحمل لغة الفن، والفضيلة، مبتعدا عن الابتذال والترخص، كما أن تحديد نوعية، ومرحلة عمر المشاهدين من الأطفال هام بطبيعته؛ لأنه يشكل أحد المداخل الصحيحة لفهم الصيغة المسرحية، وللستفادة منها، وإمكانية الاستجابة لرسالتها التى تعلنها لغتها، وحواراتها، وعروضها، والتى تجد قبولا من الأطفال المشاهدين، يؤكد رسالة مثل هذا العرض المسرحى، وتروج بين الأطفال بما يرسخ تقاليدها، وقيمها، فاستثمار الفن الرفيع فى مسرح الأطفال، يحقق ضمنا الأخلاقيات، وينمى التوجهات الإيجابية، وهذه الأشياء التى ينبغى، بل يجب أن تتكامل فى مسرح الأطفال. تتكون من «التمثيل» و«الكلمة» و«الموسيقا»، أى (الفعل الذى يعد روح التمثيل الصميمة، والكلمات التى تعد جسم المسرحية، والخط، واللون، وهما خير ما فى المنظر، والإيقاع الذى يعد جوهر الرقص)[١] هذا بالإضافة إلى كل ما يتطلبه العمر الزمنى، ومرحلة النمو التى يخاطبها المسرح من أدوات «الفن التشكيلى»، أو «الديكور» أو «الإضاءة» أو ألوان التسلية، ولهذا كانت أهمية اختيار المكون المسرحى، أو عناصر العمل المسرحى مما يشكل بعدا فى المكان، لتتجاوب مع الرؤية البصرية للطفل، وأهم مكونات هذا البعد المكانى فنيا تكمن فى العمارة بكل أشكالها وأحجامها، وكل هندسة

(١) طبيعة الدراما للدكتور إبراهيم حمادة ص ٧ دار المعارف القاهرة.

التخطيط، والتصميم، والتصوير، والزخرفة، والنحت، والخط، واللون، والتظليل والإضاءة، وكل وسائل الإيضاح، ويشكل بعدا فى الزمن، وتعرف بفنون زمنية، وتتجاوب مع أذن الطفل، ودرجات السمع، وهذه تعرف - ايضا - بالفنون السمعية، وأهمها الموسيقا، ومعطياتها، ترتكز على ثلاثة عناصر: اللحن، وهو نوع الصوت، ودرجة كثافته، وعمقه، والإيقاع، أى امتداد اللحن فى البعد الزمنى، وشغله لمساحة مكانية من الهواء الحامل لنسيجه الصوتى. والعنصر الثالث: المعنى الموسيقى الملاصق للعنصرين السابقين أو الخطاب الذى يحمله اللحن والإيقاع. وأخيرا أداة الترقيم الموسيقى، وهى: «الصمت» المستخدم بين الأنغام وهناك فنون تلقى فى «المكان» و«الزمان»، وذلك مثل الشعر، والنثر، والتصوير، وعمارة الديكور، والموسيقا المستخدمة فى المؤثرات الصوتية والرقص التوقيعى، والمصاحب للتمثيل.. وهكذا نستطيع القول بأن المسرح بعامة، ومسرح الأطفال بخاصة، يقوم أساسا على تكامل الفنون الحسية، والذهنية، وتلك التى تتجاوب مع حواس السمع، والبصر، والمدركة عقليا ووجدانيا.. وتقع على من يتحمل مسئولية «العرض»، أو «الفرجة»، أو «المشاهدة» أن يوازن بين هذه الفنون، وألا يبالغ فى عرض فن على حساب آخر، أو أن يستأثر لون المساحة الزمنية المتاحة، وأن نظل موقنين بأن نشأة المسرح كانت مشبوهة، إذ لابد من التأكيد على أن نشأة المسرح لم تكن فى إطار من الرضا والاحترام، لتوقع الجميع، ومن يقوم على أمور القيم والفضائل، أن هذا اللون، يثير فى الناس من الشهوات، والخلاعات، ما يجعله مرفوضا، ومحاربا حيث لا تقع العيون على شى فى العرض المسرحى (أسوأ وأنكى من إظهار الرجال والنساء، فى تلك الزينة المسرفة، والزخرف المعتنى به عناية تفوق الحد..) بل إن كثيرين، وبخاصة «الأطفال» و«البنات الصغيرات» كانوا ممنوعين من شهود المسارح، لأنها (منتدى خاص للفسق، والفحش... المباءة التى لا يجوز فيها إلا ما لا يجوز فى أى مكان غيرها... المباءة التى يظهرون على منصتها البغايا البائسات... ضحايا الشهوات العامة... أولئك

التعسات اللاتى يتوارين خجلا فى حضرة بنات جنسهن من النساء...الواتى لم يتعودن أن يخفين أوجههن إلا منهن وحدهن..)[١].

وإذا كان للمسرح هذا الوجه عند نشأته، فإن وظيفته الحقيقية وهى الإمتاع والتطهير، والتعليم، والتثقيف، ينبغى أن نظل قابضين عليها، ونحن نتعامل، مسرحيا، مع «عالم الطفل» وسنعترف بالآراء السلبية تجاه المسرح، والنظرة إليه قديما، ليعيننا هذا على مزيد من الاهتمام بنوع المسرح المقدم، حيث الكلمة ومستواها، والفعل وتأثيراته الإيجابية، ومستوى أدائه، والفنون المساعدة وعملية الإخراج، وما يترتب على هذا كله من صور تترسب فى الأعماق؛ لتؤكد الاتجاهات الراقية التى نريد بثها فى أطفالنا، ولهذا كان الحرص على توضيح لمسرح ودوره، وتقنياته فى أنه يحمل وجهين: وجها سلبيا ضارا، ومخلا بالآداب والمعنويات، ووجها إيجابيا نافعا ومفيدا، وبانيا للأخلاق والسلوك وقادرا على التثقيف والتطهير. وخلق النزوع الصحيح، وللوجه الأخير ينبغى أن يكون انحيازنا، ونحن نتعامل مع عالم الطفل..وهذا بدوره يؤدى بنا إلى أعتبار مسرح الأطفال، هو مسرح المشاهدة، والفرجة، والموقف البطولى، والأنشودة الحماسية، والأغنية الهادفة . حيث الفن فى الأفق الأوسع، تعبير عن الحاجات، وفى مقدمتها المتعة، بالإضافة إلى الفن الأنيق الخفيف الوديع فى الإيقاع، والتموج، والتلتفاف حول المعانى الفاضلة، والبانية، وحيث الكلمة المفعمة دفئا وسلاسة، واشتناقا من الطفولة، وعالمها اللغوى، والاجتماعى، والإنسانى. ورغم المساحات المتباينة التى تشغلها الشخصيات، والأحداث، وعناصر الفرجة، والإضاءة، فإنها جميعا تتبلور فى أفعال وأقوال، تكون فى خدمة الهدف النبيل الذى نسعى إليه، وهو تنمية الطفل إدراكا، وثقافة، ووجدانا، وحسا فنيا وتذوقا جماليا...حيث المسرح القائم على العرض والفرجة الفنيين يتيح الاستماع إلى الموسيقا بإدراك وجدانى، فيقوى الحس لدى الطفل، كما أن تدرج النغمات فى وحدات يسهل عملية الإدراك لعقلى، لأن الطفل عموما ذو خاصية إيقاعية، وتتصف أجهزته العصبية والإدراكية،

(١) تاريخ المسرح ترجمة دريني خشبة ص ١٩٧.

والحسية بأنها قابلة للإيقاع، والتجاوب مع الموسيقا. والطفل قادر على الاندماج اندماجا كليا فى المساحة الزمنية التى تشغلها الموسيقا أو الفنون بعامة..من هنا كانت أهمية «العرض»، و«الفرجة»، و«المشاهدة»، و«المخايلة» فى إطار من الإيقاع الموسيقى وعرض الصور بألوانها الزاهية، وديكوراتها المعبرة وخلال هذا الزخم من الفرجة، والمشاهدة، تنمو الأفكار، ويتسلل إلى عقول الأطفال، ومداركهم، كل ما نريد أن نقدمه، ونقوله لهم...فمسرح بهذا الشمول يقدم للأطفال، وتنتقى فيه بعناية الكلمة، والإخراج، والتمثيل، والموسيقا، والديكور، ويتأسس على عنصر الفرجة، والعرض سوف يجذب بالضرورة الأطفال، على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم، لأنهم سيجدون فيه عناصر الإثارة التى تتجاوب مع استعدادهم، وطبيعة مراحل نموهم ومداركهم، ولأنه - ايضا - يجمع بين العرض، والفرجة، وهما ركنان أساسيان فى مسرح الطفل.

ثانيا الفعل - التمثيلى:

يتطلب مسرح الأطفال، تجاوزا للكلمة، واهتماما خاصا بالفعل، وهو التمثيل، لأن «مسرح الطفل» لا يقوم على الكلمة المقروءة...بل المنطوقة بمصاحبة الأداء التمثيلى وأقصد به «الفعل» الذى يشكل بعدا دراميا، أو مزجا للتأثيرات المختلفة (كوميديا)، وهو ما نتصوره مشهدا ذا عناصر متكاملة.

فالمسرح هنا بخاصة، يسعى إلى معرفة معنى الحياة لدى الأطفال. فهو فى حالة اكتشاف؛ رغبة فى اكتشاف الحقيقة الكلية لمعنى وجود الإنسان..ومن ثم فإن مسرح الطفل يشكل فى مجموعه، ما يمكن أن يكون عالما دراميا خاصا. ويتميز هذا العالم التمثيلى بالخصائص التالية:

١ - الكلمة على خشبة المسرح، غيرها على الصفحات، أو بين السطور، لأنها عبر الأداء التمثيلى تصف وتعبر عن الانفعالات، وتملك بالأداء التمثيلى قوة التأثير، أى أنها كلمة، قابلة للتشخيص، والتلوين، وإحداث تموجات

إيقاعية مع غيرها..وإذا كان مسرح الكبار قد يكتفى بالسرد-أحيانا - عند التحليل، ومناقشة الأفكار خلال الحوار، فإن مسرح الأطفال، لا تسمع كلماته، أو تلقى إلا بأداء تمثيلى تشخيصى، وأن الممثلين على خشبة المسرح لا يتحدثون...بل يشخصون الكلمات، ويكسبونها عديدا من المعانى بأدائهم النفسى لها، ويلونونها بنبراتهم التى هى عنصر بارز فى إحداث جو تمثيلى درامى، يصنع الجسور بين المسرح والمشاهدين من الأطفال...فمسرحهم قائم على الفعل التمثيلى الدرامى، أكثر من قيامه على مجرد الحوار، أى أن مسرح الأطفال، يتميز بأنه قائم على تكامل عناصره الفنية.

٢ - والتمثيل يتأكد فى أبسط صورة، وفى مساحة زمنية قد لا تتجاوز البرهة. فحركات الممثلين، وتعبيراتهم الجسمية، ونبرة الصوت وكل ما يصدر عنهم فرادى مثل: قراءة فى كتاب، أو النظر فى تأمل سلوكهم كأفراد، او فى جماعات، فإنه يبحث فى الأفعال الخارجية، التى يبلورها ويصفها الفعل التمثيلى.

٣ - ومسرح الطفل، إذا تم تكونه، ليشمل كل المقومات الفنية من النص المكتوب...ثم الفعل التمثيلى..فإنه يعطى للطفل عن طريق الفعل التمثيلى صورة دقيقة للنموذج الذى يعيش معه فى غيبة شخصيته الاجتماعية، أى حينما ينفرد بنفسه...فإنه يتعايش مع الشخصيات التى هى موضع حبه. فالكاتب المسرحى، مع الممثل، يستطيع كلاهما أن يضع لشخصياته من الأفعال والكلمات ذات الأداء التمثيلى، ما يجعل الجو التمثيلى العام، قادرا على إتاحة فرصة لطفل ما بين السابعة و لرابعة عشرة، إلى تكوين«حاسة حدسية تساعده فى التعرف على حياة شخصياته الداخلية»[١] وهى الشخصيات التى يحتفظ بها فى عالمه

---

(١) طبيعة الفعل الدرامى للدكتور إبراهيم حماده ص ١٧.

الداخلى، فيأتى المسرح، بعناصره: الكلمة، والفعل التمثيلى، والعوامل المساعدة؛ لتكشف عن طبيعة هذه الشخصيات، وذلك من خلال الاعتراف وبعد ان استطاع الفعل التمثيلى الانتقال بهذه الشخصيات، أو بتلك الدوافع من منطقة الخفاء، والضباب إلى عالم الظهور، والاعتراف، وصولا إلى العلاج، وحسن التوجيه والإرشاد، فالفعل التمثيلى؛ لهذا يتميز بقدرته على الربط، وتكوين العلاقات.

وعموما فإن مسرح الطفل ينبغى أن تتحقق لكل أدواته، وأفعاله المسرحية والتمثيلية، الغائية، واستهداف التعليم، والتثقيف، والتربية، والمتعة، وألا يتم أى فعل تمثيلى فى لحظة ما وقد أفرغ من مثل هذه الغايات، التى تشكل النسيج النفسى والفنى للطفل، وتتأكد عن طريقه شخصيته، بالإضافة إلى أن أى فعل مسرحى فى تتابعه مع غيره، وفى ظل المفاهيم المعروفة عن عالم الطفل، لابد أن يكون إيجابيا، ومباشرا، كما أنه وهو فى تتابعه مع غيره، لتتكون المواقف، وتتوالى المشاهد، لابد أن يثير اهتمام الطفل حتى لا يتسرب إليه الملل، فيقضى -من ثم- على العمل التمثيلى نفسه..وهذا الاهتمام يحدثه الفعل التمثيلى بعناصر قوى الشد والانجذاب.

إن مسرح الطفل، فى الأساس عالم متميز، وصورة من صور الثورة الروحية، والفكرية الفعالة، وجميع من يعملون فى ميدانه، مطالبون بأن يحققوا انتقالة ملموسة فى شخصية الطفل، وعلاقاته ورؤاه ليخرجوه من عالم الأنانية والخوف، و«الانكماش» و«التقوقع» إلى عالم المحبة، والعطاء، والحرية، والاطمئنان، والانفتاح، وبشرط أن لا يقوم هذا الجهد، وتحقيق هذه الأهداف على مجرد الوعظ، والإرشاد المباشرين، وإنما يقوم على الفعل التمثيلى الدرامى الجدلى، الذى يتضمن قدوة، وتضحية صادقة، إيجابيا ريجابيا. ولغة الخطاب المسرحى - حينئذ - تصل الى الطفل فى إشارات ورموز تذكره بالعيوب، والأطماع، ليعمل على استبدالها بالفضائل، وبكل ما يثير عقله ووجدانه، وينمى قدراته وتقديم كل

ما يساعد على إحداث التوازن بين عالم الباطن، والظاهر، أو بين منطقة اللاشعور، والشعور، وعلى إبراز ما يكمن بداخله من أنواع الميول، والاستعدادات، والقدرات. ولهذا كله، كان مسرح الطفل بعناصره المختلفة يتوقف نجاحه، على مدى التأثير فى جمهوره، ومشاهديه من الأطفال، وهذا لن يتأتى إلا إذا كان العمل المسرحى المقدم للأطفال، قائما على مقومات عاطفية وفكرية، وفنية تشكيلية وإيقاعية وجمالية، وشتى عوامل الإثارة السامية، وشد الانتباه.

الفصل الثانى
فى الفن المسرحى وتقنياته المناسبة*

أولا : فنون الفعل التمثيلى والأداء المسرحى :

الفعل هو الحركة، التى تتقمصها الكلمة؛ لتخرج من إطار اللغة إلى رحاب الفعل والسلوك ويقصد بالأداء، جميع المراحل التى تتعاون فى تخليق عمل مسرحى، بداية بالنص، وكاتبه، ومرورا بالمخرج وانتهاء بالممثل، وخلال هذا كله، تتضح عناصر إيجابية، وتتمثل فى اللغة المكتوبة، واللغة المنطوقة والإشارات، والحركات التمثيلية، وطريقة الحوار، وأسلوب المشاركة، فى «مسرح المشاركة» وفنية الإلقاء، والتعبير بألوانه المختلفة... والمؤثرات العامة والخاصة، والقدرة الأصيلة، على تلوين المواقف، وتجسيدها.

أ - النص وكاتبه :

النص رؤية لغوية إبداعية، قابلة للترجمة إلى مواقف وفى «مسرح الطفل» ينبغى أن يحمل رؤية مؤلفه الأصلية ويكون تعبيرا عن الفلسفة الأخلاقية السائدة، ويحقق فضائل اجتماعية وإنسانية، ويرسخ القيم الدينية حيث الدين، هو الينبوع الذى تستقى منه الأسرة، والمدرسة الرؤية التربوية الصحيحة..من ثم لا ينبغى أن يتدخل المخرج بتحميل النص المسرحى فوق ما يحتمله؛ انطلاقا من رؤية صاحبه، تلك الرؤية التى تؤكد أصالة وشهرة صاحبها، فى ميدان الكتابة للأطفال، هذه الكتابة التى تصدر عن هواية، ورسالة، وأبوة فنية لمسرح الطفل، ويصدر - ايضا - عن الكاتب والمثقف الذى يعى كل منهما دوره، وهو يكتب مسرحا للأطفال، وذلك بنظرته الشمولية، وعقله المسئول، ووجدانه النابض وخياله المحلق، وقدرته

* لقد استفدت كثيرا مما كتب كل من الاستاذ محمد حامد أبو الخير فى كتابه: «مسرح الطفل»، ومما كتب الأستاذ محمد شاهين الجوهرى فى كتابه: «الأطفال والمسرح»؛ وذلك لأن الكتابين عملان مدرسيان تطبيقيان أصيلان.

على الرسم بالكلمات حتى يستطيع الواحد منهما أن يبدع عالما يجذب إليه عالم الطفل، أى الكاتب المتخصص الذى يستطيع أن يقدم للأطفال، فى مراحلهم المختلفة ما يتناغم، ويتكامل، ويتجاوب مع كل مرحلة، ومع طبيعة الطفولة خلال تلك المرحلة، والتعامل مع الحواس وقوى الإدراك، والقدرة اللغوية والاستيعابية، والصور المجسمة والعقلية، والخيالية، وأن يقدم لهم، وهو سعيد بذلك، سعيد بكل ما يبهجهم، ويرشدهم، ويوجههم، ويبصرهم، ويمنحهم الخبرة والتجربة والثقافة، والمعرفة، وذلك عن طريق الأداء التشكيلى لكتاباته، والصور الجميلة المنبثقة من خياله، والحقائق الموضوعية المستدعاة من عقله...إنه الكاتب الذى لا يحيا على هامش الطفولة وعالمها، ولا يغمض عينيه عن مشكلاتها، ومطالبها ،ومعطيات مراحلها، وسنى نموها، كما لا يستطيع أن يسد أذنيه، ويغلق مسام جلده، عن همومها، ومعايشة خصوصيات أجيال الطفولة، بما يجعله شاهدا على كل مرحلة، ومتأملا فى كل جيل، وعارفا بما ينبغى أن يكون لهذا الجيل من مطالب مرحلية تتعلق باللغة – فصيحة أو عامية، أو مشتركة – والموضوع – إمتاعا، أو تسلية، أو فرجة، أو خيالا، أو مغامرة، أو تفكيرا جادا متزملا – ...وفى كل مرحلة، يجب الابتعاد عن الأسلوب الوعظى الخطابى المباشر، على أن يتم هذا كله فى إطار مسرحى يدور حوارا، أو ملاغاة، أو إلقاء تمثيليا موقعا...فالكاتب الذى لا تساعد كتاباته المسرحية على جذب الأطفال، وحسن التعامل معهم، فى مراحلهم المختلفة، ولا تحس الكتابة المسرحية بنبضهم النفسى، والمرحلى، والأسرى، والاجتماعى، والثقافى، والحضارى. هى فى الحقيقة لا تستحق أن يطلق عليها اسم مسرح الطفولة، وعلى ذلك، فإن الكتابة المرحية للأطفال مسئولية وهواية، ورسالة ووظيفة واستعداد فطرى حتى يمكن أن يحدث التأثير الإيجابى فى وجدان، وعقول الأطفال حسب مراحل نموهم، فالكتابة المسرحية للأطفال، ليست إبداعا فقط. إنما فن له أصوله، وقواعده وأهم أصوله، أنه يجمع بين كل الفنون. وأهم قواعده، أنه يتخذ من مراحل الطفولة، أساسا للكتابة، وذلك على عكس ما عليه الكتابة للكبار؛ لأنها إبداع. وفن يقوم على أن أفضل ما فى هذا الفن هو أن

ما يبدع إنما يتحرك فى إطار الفن للفن وشغف الطفل الفطرى بالموسيقا والغناء، وباللون والحركة، ينبغى أن يكون موضع اهتمام، من الكاتب، ومتوافرا فى كتاباته. حيث العلاقة العضوية بين «مسرح الطفل» وعناصر الحركة واللون والإيقاع وهى أهم مطالب الطفل حينما يتوجه إلى الفن، ليتعامل معه.

ب - المخرج :

والمخرج هو الذى يجسد مطالب الطفل، وحاجاته، وذلك بالتفاعل مع النص وإذا كان المؤلف هو - كما قلت - الكاتب الموهوب العظيم، الذى يصب أفكاره، وتوجهاته عن عالم الطفل فى قالب لغوى درامى...فإن المخرج، هو المؤلف الموهوب الذى يصب هذا العمل اللغوى الدرامى فى قالب تمثيلى، ويجسده فى أداء يبرز أفكاره، ومعانيه، وتوجهاته فى ملامح، وحركات، وإشارات تدل على المعنى المقصود، وتتضافر كل هذه الإيقاعات مع الإضاءة، والديكور والملابس، ليصوغ منها المخرج صياغة مسرحية متكاملة، وليقيم منها بناء مسرحيا متوجها، فالعمل الذى يقوم به المخرج يتعادل موضوعيا مع العمل الذى يقوم به المؤلف المسرحى...أو أن المخرج هو القادر على منح الكتابة المسرحية، الحيوية والحياة وهو القادر - ايضا - على تكملة دور المؤلف، وتحويل كلماته إلى حركة؛ لذا كان من أولى مهمات المخرج (أن يدرس النص دراسة عميقة، ويفهم اتجاه المؤلف، ويعمل على إبرازه، ويقدم للمتفرج صورة صادقة للأفكار والمشاعر، التى أوحت إلى المؤلف بتصوير أحداث المسرحية وأشخاصها) فكأنه يعيد خلق الأفكار، متوازية فى هذا مع النص اللغوى المكتوب.

كما يقوم المخرج كذلك (بتحليل الشخصيات التى يرسمها المؤلف تحليلا دقيقا، يوضح خصائصها، وملامحها، ويراعى جيدا أن يكون سلوكها مطابقا لأقوالها داخل الإطار المرسوم لها)[١] وبما يجسد الأفكار الرئيسة، ويجعلها نابضة بالحياة.

(١) الأطفال والمسرح للأستاذ محمد شاهين الجوهرى - الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٦ ص ١٠٢.

ويعمل المخرج على تحقيق التكامل والتناغم، والتراسل، والتداعى بين كل عناصر البناء المسرحى، فيؤلف بين هذا كله، ليجعل من المناظر والأدوات، والتقنيات المختلفة، والكلمات، والأساليب، والإيقاع والحوار والانفعالات والأحاسيس العامة والخاصة، والملابس، بناء منسجما ومتناغما حتى نهاية العرض المسرحى، وفى خدمة الأفكار العامة والخاصة للنص.

ج - الممثل :

وهو الذى يجسد النص فى أفعال قابلة للتمسرح، والتمثيل كما أنه هو الذى يترجم معانى المؤلف، ويتقمص شخصياته المسرحية، ويؤدى أدوارها فى الحياة...فالشخصيات التى رسمها المؤلف بقلمه، استطاع المخرج أن يحللها ويتصورها، ويحققها فى إنسان (الممثل). استطاع أن يتقمص تلك الشخصية، وأن يعيش إحساسها وانفعالاتها وحركاتها، ويطل علينا من على خشبة المسرح دالا دلالة واقعية صادقة على تلك الشخصية التى تتقافز أمامنا على صفحات الكتابة المسرحية. والمخرج هو الذى يختار الممثل، حيث الممثل حينئذ، ومن وجهة نظر الإخراج الفنى، هو القادر على ملء فراغ الشخصية المرسومة على الورق..وحيث يعبر بصدق انفعاله، وقوة صوته، وروعة أدائه، وأحاسيسه وعواطفه عن الشخصية التى يؤديها، مبلورا رؤيته، قادرا على نقل تلك الرؤية إلى المتلقى بأمانة ومقدرة، وتأثير...فالممثل الناجح هو الذى يحمل رسالة الكاتب إلى المتلقين، ويعى لغة الإخراج فى أدائه، ويكون هو نفس الشخصية المراد عرضها على المتلقين فى كل مستوياتها، واختلاف ظروفها، وأصالة شخصيتها من حيث (أن يتحتم على الممثل أن تكون أقواله، وأفعاله، متفقة والصفات الجسدية والنفسية، والاجتماعية لأية شخصية فى المسرحية كما يتحتم أن يبلغ الممثل بالفكرة إلى المستوى الذى يحرك عواطف المشاهدين، ويشد انتباههم، ويستولى على اهتماماتهم)[١] ويترجم لهم النص ترجمة لا أن يقرؤوها بل يشاهدونه.

---

(١) مسرح الأطفال ترجمة محمد شاهين الجوهرى ص ١٦١.

ولما كان المسرح هو البناء الأكثر استيعابا لعناصر فنية متنوعة، بل هو الفن الشامل لفنون القول، والتمثيل، والتشكيل، والسباحة فى بحر الخيال، وهو وعاء للفنون كلها ..كما أنه الفن القادر على إعطاء المتعة للأطفال والقادر دوما على الإبهار، والواعد دائما بالنتائج، لذلك كان فنا مناسبا لعالم الطفل، والأكثر اقترابا من وجدانه، والممثل لهذا مطالب بأن يكون (متمكنا من مرونة جسده...بحيث يستطيع أن يؤدى كل الحركات الصعبة، وكل ما يثير خيال الطفل، ويجعله مبهورا وأن يكون ذا مهارة. فى صوته، وعواطفه، وأحاسيسه، إلى جانب سرعة بديهته، وذكائه)[١]. ومن أهم ما يميز القائمين على العمل فى ميدان «مسرح الأطفال»، هو مدى إيمانهم، وحبهم، ورغبتهم الصادقة، فى العمل مع الأطفال، ولذلك فإن اختيار المخرج ينبغى أن يؤسس على قوة العلاقة بين مواهب الممثل، و«عالم الطفل»، ويوحد «المخرج» عادة بين كل الروافد التى تغذى البناء المسرحى، والفعل التمثيلى، بما يجعل التوجهات كلها فى خدمة هدف واحد حتى لا يتشتت تلقى الأطفال، ومن ثم تقل المنفعة المستهدفة. والممثل فى «مسرح الأطفال» مطالب بأن يكون أصيلا فى تعبيراته، وانفعالاته، وحركاته، حتى لا يقع نظر الطفل على حركة انفعالية متكلفة، أو لازمة من لوازم الممثل الشخصية، فتستغل ضد الممثل من قبل الأطفال...بل تكون شخصيته فى أصالتها خالصة الشخصية التى يعبر عنها، أو الدور الذى يقدمه، وعلى المخرج أن يتعاون مع الممثل لأداء دوره بأمانة وصدق وأصالة. وعليه – ايضا – أن يعلم بأن بعض ممثلى الأطفال بخاصة، يذهبون إلى مبالغات فى حركاتهم، وتقطيباتهم حيث يأتون (بحركات عديمة المعنى، أو بتقطيبات جبين مبالغ فيها، أو أوضاع غريبة، أو استخدام الأيدى بطريقة تفصيلية غير مألوفة)[٢]. والمخرج – حينئذ – يستطيع أن يوجه الممثل لما فيه نجاح دوره، وذلك بأن يوضح له، بأنه (يمثل لجمهور من الصغار، فينطق كلماته بوضوح، ويتحرك الحركة الطبيعية التى تتطلبها طبيعة الشخصية فى الموقف...

---

(١) مسرح الطفل للأستاذ محمد حامد ابو الخير ص ٩١.

(٢) الإخراج المسرحى ترجمة أمين سلامة مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٠ ص ١٢٦.

كما يجب ألا تكون له لازمة شخصية، يمكن للأطفال تقليدها بعد مشاهدة العرض، فهذا كله له أثره الجيد على توصيل القيمة الفنية للمشاهدين)[١] أى كأنه ممثل يؤدى دوره ليشاهده وهو طفل.

فإذا كان الممثل سيؤدى دورا يقوم فيه بتمثيل حيوان، أو طائر فهو مطالب بأن يتعرف على الصفة الغالبة على هذا الحيوان، أو الطائر، أو الشئ المراد تمثيله، ويكتشفها، ويؤديها بعمق، وصدق، ووضوح..فعبقرية الممثل باتسبة لمثل هذه الأدوار تكمن فى التعرف على (السمة المميزة للحركة واكتشافها فى الحيوان، وقدرة الممثل على التعبير عنها من خلال جسمه) فإذا تحقق هذا من جانب الممثل كان (هو النجاح الحقيقى لتوصيل الشخصية للمتفرج)[٢]. من ثم ينبغى أن تكون له ثقافات عن عالم الطفل.

إن قيمة الممثل فى الواقع تكمن – فوق هذا كله – فى أن أية حركة منه أو إشارة، أو أنفعال، تلخص للمشاهد صفحات من الكتابة المسرحية الوصفة، أو التى تحلل، وتبلور. فالممثل الناجح هو الذى يستثمر قواه الإبداعية الأدائية لأنه بهذه القوى، يستطيع أن يختصر الكثير مما تفيض فيه الصفحات، وما يحاوله المخرج من تصورات وتخيلات عن الدور أو الشخصية، ولهذا كان الممثل متميزا (بطبيعة خصبة، وعقل راجح، وإحساس رقيق، وبصيرة تهديه إلى أن التمثيل الصحيح لا يعتمد على الصخب والضجيج والتلويح بالأيدى، بقدر اعتماده على الإيحاء والرمز)[٣] والإشارات الذكية التى تتميز بالالتفاف حول الموقف لتمثيلى، وحول اللغة بأدائها المميز.

د – فن الإلقاء :

وهو من الفنون الأدائية، التى تعمل فى إلحاح على تجسيد المشاعر، والحالات النفسية، والانفعالات المرافقة. والإلقاء بعد آخر فى تجسيد القيم،

---

(١) مسرح الطفل للأستاذ محمد حامد أبو الخير ص ٩١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الأطفال والمسرح للأستاذ محمد شاهين الجوهرى ص ١٠٤.

والمعانى التى تستهدفها الأعمال المسرحية، وهو الفن الذى يبلور لنا – وذلك بالتمثيل – الخصائص النفسية، واللغوية، والقدرات الشخصية، والقيادية، ويمنحنا الكثير من الثقة والحضور، والإحساس بتدفق قيم النص، ومعانيه، كما انه ينقلنا من الجو الخاص، إلى الجو العام، ليوحد بين الجميع، ليجعلنا قادرين على حسن التلقى، والتحليق، والاستعادة، والاستدعاء أو هو كما يقول الأستاذ المرحوم عبد الوارث عسر فى كتابه (فن الإلقاء): (كانت عناية الإنسان بالكلمات، ومعانيها طبيعة أصيلة فى خلقه، وإنما يتميز الإنسان عن سائر الحيوان بأنه ناطق، وكذلك نستطيع أن نقول إن فن الإلقاء. هو فن النطق بالكلام، على صورة توضح ألفاظه ومعانيه)[١]..وفن الإلقاء جزء من الفن المسرحى حينما يكون الامر متصلا، بتقمص الشخصية، وواقعها، وموقعها الاجتماعى، ومستواها الثقافى والحضارى، وعمقها الإنسانى...

لكن الأمر يصبح جوهريا، حينما تكون المسرحية فى إطار المسرح العربى الموصول بمسرح الأطفال، حينئذ يكون «فن الإلقاء» ضروريا وجوهريا، لأنه – فضلا عن قيمه الفنية – سيتيح للطفل معرفة أعمق بلغته، فتثير حماسه القومى، والوطنى، وتساعده – أيضا – فى معرفة أقوى بأبجديته، وبأصواتها وطريقة التعامل مع المخارج (..وكل ما يتعلق بهذه الحروف؛ لتخرج من الفم سليمة كاملة، لا يلتبس منها حرف بحرف..وبذلك لا تلتبس الكلمات، ولا تخفى معانيها، وأيضا الاهتمام بتوضيح المعنى والذى يتأتى أيضا بدراسة الصوت الإنسانى فى معادنه وطبقاته، دراسة موسيقية تتيح للدارس أن ينغمه بما يناسب المعانى، فتبدو واضحة، مبينة جميلة الوقع)[٢]. ومن ثم تمنح شخصيته بعدا أقوى فى التدليل عليها.

فالإلقاء عالم من الإيقاع، والنبر، والتموج، بما يسمح بأن يقوم بدور تعبيرى إشارى توضيحى، وتشكيلى. من ثم يكون الإلقاء نسخة أخرى للنص المسرحى

(١) فن الإلقاء للأستاذ عبد الوارث عسر الهيئة العامة للكتاب سنة ٨٥ ص ٤.
(٢) فن الإلقاء ص ٦.

وعلى كل من يتصدى للعمل فى «مسرح الأطفال» سواء كان مخرجا، أو مدربا لفرق التمثيل الطلابى، عليه الاهتمام بالإلقاء كفن يساعد على تشخيص المعانى وتوضيحها، وكعلم، يساعد على معرفة توضيح الألفاظ بنطقها نطقا سليما صحيحا، وبتوضيح المعنى، وذلك بدراسة الصوت الإنسانى فى معادنه. وطبقاته دراسة موسيقية (بحيث تظهر منه شخصية المتكلم تعبيرا ذاتيا بقصد الإفهام والتأثير والإقناع)(١).

أما فيما يتعلق «بفن الإلقاء»، وعلاقته النفسية والاجتماعية، والشخصية للأطفال، الذين نريد تدريبهم على فنون الإلقاء التمثيلى والمسرحى، أو هؤلاء الذين يشاهدون، أو حينما ندرب أطفالنا على الإلقاء انطلاقا من التربية العامة، فإن هذا الفن يقوى ثقتهم فى أنفسهم، ويحملهم على التعبير عن مكنون نفوسهم بصدق وصراحة، تنمى فيهم قدرة على الحوار، والترجمة عن الأفكار، ونقل الآراء بحرية ووضوح، كما نقلل فيهم الطبيعة التى تحملهم على الخجل والانطواء والعزلة، وندفعهم إلى مواجهة المجتمع، ونقل أفكارهم إلى هذا المجتمع – أسريا أو مجتمعيا – بيسر، وسهولة، وعلى مواجهة المواقف بصراحة، وقوة رأى وشخصية مؤثرة.. وعموما فإننا بهذا الفن نستطيع أن ندرب أطفالنا بعامة، والمنخرطين فى سلك التمثيل المسرحى بخاصة، على السيطرة على الموقف والتهيب، بذلك من خلال ما يقوم به من أداء تمثيلى جيد، كما أن (العيوب التى يمكن السيطرة عليها سيطرة إرادية أو اختيارية بهذه الطريقة تفقد معظم جوانبها الخطيرة، فى حين أن النجاح أمام الجمهور، يمكن أن يمهد الطريق، وينقيه من العقبات وأن يملأ نفس الممثل بالثقة)(٢). وينقل إلى المشاهدين من الأطفال هذ الامتلاء بالثقة.

فإبراز الصوت، وتطوير القوى الخلاقة فى داخل الطفل ممثلا أو مشاركا، أو يشاهد ممثلا كبيرا فى «مسرح الطفل»، وتنمية الإحساس، وزخم التصور والتخيل بالرؤى والعواطف يساعد على الأداء والإلقاء التمثيليين حيث الإلقاء مع

(١) مادة الإلقاء للأستاذ أحمد البدوى – المعهد العالى للفنون المسرحية سنة ١٩٧٨ ص ١٨.
(٢) الموسيقا تعبير نغمى ومنطق – للأستاذ عزيز اشوان – الهيئة المصرية سنة ١٩٨٦ ص ٤٠.

مصاحبة الإحساس والتخيل، وتنمية قوى الإبداع الخلاق المدفونة فى الأعماق يمثل حجر الأساس فى الفن التمثيلى بعامة والمسرح بخاصة. فالمسرح غايته، قد تكون فى هذا الكشف عن قوى الإبداع والتخيل.

هـ - الموسيقا والغناء:

الموسيقا هى هذا التناغم والإيقاع المتنامى فى اتجاه أعماقنا..وهى بهذا التعامل مع المطلق، قادرة على كشف المخبوء فى تلك الأعماق السحيقة. وربما كانت الموسيقا بالنسبة «لمسرح الطفل» من أهم العناصر، التى تمنح العمل الفنى قوة التأثير، ووحدة العمل، وترابطه، وتوازنه، وتتجه بكل العناصر؛ لتأخذ مكانها فى الضمير، وتصل بالعمل ووضوح أدائه فى الاتجاه الذى يريده القائمون على العمل..والموسيقا والغناء والشعر، من أهم مقومات وجدان الإنسان الفطرى، والطفل: لهذا محتاج إلى الأداء المسرحى من خلال الأداء الموسيقى، حتى نستطيع أن نتعامل مع طبيعته، ونتعرف على اتجاهاته، لأن العمل الموسيقى، تعبير له بعده الذى يساعد على التجسيد...

كما أن الموسيقا والغناء أصيلة فى طبيعة الشعب المصرى على وجه الخصوص، ولهذا نجد مسرحنا، وتمثيلياتنا، ومعظم برامجنا تتزيا كلها بهذه الفنون. الصادرة عن الإيقاع والتنغيم، وحسن التقسيم، بحيث تنتهى كلها إلى دفقة موسيقية، أو جملة مشحونة بكثافة عاطفية، تشد الانتباه بقوة تأثيرها، وأدائها ..من هنا ينبغى الاهتمام فى المسرح بعامة، ومسرح الطفل بخاصة، بهذه العناصر الموسيقية والغنائية..وارتباط الموسيقا «بمسرح الطفل» يعود إلى ما عرف عن عالم الطفل من البكارة والصفاء والنقاء، والتلقائية بعفويتها، والتفافها وهذا العالم تمثل الموسيقا أهم لغته، وأسلوب التعامل معه، ينبغى علينا ونحن نتعامل مع «مسرح الطفل» أن نختار الموسيقا التى تؤدى روح المسرحية، أن تكون تلك الموسيقا متوافقة، والمستوى البيئى، والعمر الزمنى للطفل حيث تتطور من الإيقاع الرتيب الذى يدعو الطفل ملحا للمشاركة إلى الأداء الهارمونى، الذى

يدعو الطفل إلى التأمل، والشعور بالمتعة، لهذا تصبح الموسيقا أداء ضروريا، ولها إمكانات كبيرة فى المجال المسرحى، وتأثيراته على الأطفال..وكل مسئول عن العمل المسرحى للطفل عليه أن يدرك هذا وفى مقدمة هؤلاء جميعا «المخرج» الذى يعد المسئول الأول عن المسرحية، ومراحل تنفيذها، لذلك لا يكتفى المخرج عند اختيار الموسيقا المناسبة، أن يكون جملا موسيقية من هنا وهنالك حسب كل دور أو شخصية، وعليه، لذلك، يكون المخرج مطالبا بأن يقدم عملا موسيقيا ينمو بنمو أحداث المسرحية، ويشكل معها إطارا فنيا متكاملا، يستطيع الطفل، أن يرى فيه عالمه، ويلمس مشاعره، كما ينبغى أن يتفهم روح النص وتوجهاته عملا موسيقيا مناسبا لروح النص، وطبيعة مواقفه، وخصوصيات شخصياته، حتى يستطيع بهذا أن يلتحم فى نسيج العمل الموسيقى المقدم، وأن يعبر بصدق، وعمق، وشمول عن المضمون فى النص المسرحى، ليستطيع - ايضا - أن يشكل عالما من الشجن، والمتعة، والأفكار الجميلة، والمشاعر الرقيقة، والخيال المترامى، ليتعادل مع عالم النص، وليتداخلا ليصنعا عالما جميلا، يسبح فيه الطفل، ويحلق، وتتكشف قدراته..فالموسيقا هى فى مجال المسرح، التعبير عن الموضوع الذى هو (جوهر العمل الذى يحاول المؤلف سرده فى بساطة، ووضوح من خلال رؤيته للموضوع، فيفتح للمستمع آفاقا واسعة يسبح فيها خياله، لعله يطابق، أو يتقارب، مع خيال المؤلف..وهذا الجوهر أى المضمون يتكون من فكر ومشاعر وخيال المؤلف ويوظفها وفقا لبراعته وخبرته فى سرد الموضوع، والتعبير عن جوهر النص)[١].

والموسيقا مع الأغنية الموسيقية فى إطار «مسرح الطفل» توصف بالتعبيرية لتدل على جوهر العمل المسرحى (وقد تكون تتويجا لموقف أو تعلق أو تطرح أفكارا، أو تسرد حكاية...) كما أن الأعمال الموسيقية بأغنياتها المناسبة لروح النص، وتوجهاته، ليست عملا ترفيهيا، أو مظهريا أو من قبيل الحشو والجهد الفنى المكرر، وإنما قيمة الموسيقا والأغنية فى نسيج «مسرح الأطفال» هى بلورتها

---

(١) مسرح الطفل ص ٩٨.

للموقف المسرحى.. وهنا سيكون لها الفاعلية الكبرى لدى المتفرج، فالأغنية ليست شكلا ترفيهيا .وإنما هى ضرورة درامية تساعد على فهم الموضوع، واستمتاع (الطفل) بها، لأنها سوف تحدث له تغييرا فى السياق الفنى، وتحمله على الارتباط، وإحساس أوفر بالأشياء، كما أنها تحدث فى شخصه تناغما لدى الوسط التعبيرى من الحوار إلى الموسيقا والغناء[١] ، ويمكن تصور الخصائص الفنية المطلوبة فى الموسيقا وأغنياتها، والتى تمثل حجر الأساس فى بناء مسرح الأطفال وذلك فى النقاط التالية:

١ – أن يكون اللحن موصولا بالجمل، بحيث تنبثق الألحان من الجمل والعبارات، والتى بدورها ينبغى أن تكون قصيرة تتسم بالحيوية والعفوية، ومما يستطيع الطفل ترديدها وتلحينها، ومتصلة اتصالا لغويا وثقافيـ واجتماعيا بعالمه. وخلال لعبه اليومى تولد مثل هذه الجمل والتعبيرات. مما يتأكد معها أداء لغوى سليم، وقادر على البوح بما يريده الطفل.

٢ – ويتميز اللحن وموسيقاه وكلماته بالحيوية، وبقوة التأثير وجذب الانتباه، ويتناسب مع الطفل فى مراحله المختلفة قريبا من عالمه، يسهل أداؤه، وترديده واستيعابه مع قصر فى الفقرات والجمل الموسيقية، وأن تكون الكلمات ومضمون العبارات متلاحمة مع روح اللحن والنص، والنبر والتكوينات الإيقاعية. وذلك مع توازن فنى دقيق بين الجملة كألفاظ، والجملة كموسيقا..بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

٣ – يفضل مع المراحل الأولى للطفل، أن تكون الموسيقا وأغنياتها جماعية، حتى يعطى فرصة لمشاركة الأطفال، بالترديد أو بإحداث نوع من التقليد داخل أى خارج المسرح، وهذا، لو تم بشكل متناسب، ومتوازن مع العرض، ولا يمثل نشازا، كان أبعث على الحيوية، والنشاط والتأثير والفاعلية المطلوبة دائما من مثل هذه الأعمال الفنية الجماعية[٢]. ويعمل

(١) مسرح الطفل محمد أبو الخير ص ٩٩.

(٢) يمكن مراجعة:« دراسات وبحوث عن الطفل المصرى والموسيقا» الصادرة فى أبريل من جامعة حلوان.

على ترسيخ الجماعية فى توجهات الفرد، الذى هو الطفل فجوهر عملنا، هو الانتقال بالطفل من داخل نفسه، وإطار فرديته إلى عالم الجماعة والمشاركة العامة.

وعموما فإن المخرج المثقف، الواعى بمطالب الطفولة، يستطيع أن يمزج بين أكثر من فن، ويوازن بين أكثر من عنصر ليحقق بذلك المزج والموازنة أداء فنيا متكاملا فقد يجمع بين النص، والتمثيل، والموسيقا، والأغنية، ومقاطع «فن العرائس»، و«خيال الظل» و«الفانوس السحرى» و«صندوق الدنيا» و«الأراجوز» إلى أخر أشكال الفرجة حتى يحقق أداء يبعث على التجدد والاستمرار والمتعة وهذا راجع إلى أن «التنوع أبو المتعة، وأيضا لأن الأطفال يحبون هذه الفنون، كما أن ذلك لا يجعل الملل يتسرب إلى الأطفال»...لكن هذا التنوع يكون محسوبا، وموظفا توظيفا دقيقا بحيث (يوضع كل من تلك الفنون لضرورة درامية، وفى مكانه المناسب وليس من أجل الإبهار..)[1].

وتلخيصا لما قد تتميز به موسيقا مسرح الطفل نقدم ما يلى:

١ – تعمل على تفاعل الأطفال مع المشاهد، والممثلين، وتنتزعهم من تقوقعهم الفردى لتردهم إلى إنسانيتهم.

٢ – تحمل خصائص فنية إيقاعية، تجعلها أكثر جذبا وتأثيرا وشد لانتباه السامعين، وتقنعهم بكل أفكار العمل المسرحى.

٣ – تتسم بالمرح، وبالحيوية، ومن ثم تبعث المتعة والسعادة فى لنفوس والحيوية، والنشاط فى المسرح حتى يمكن التسلل إلى عالم الطف.

٤ – تكون تصويرية أحيانا، وتصاحب التمثيل وترافق مشاهده، وتنبض بروحه.

٥ – تعمل على تثقيف الطفل ثقافة موسيقية، وتساعده على التذوق الموسيقى والتفاعل معها خلال العرض، وتتابع أحداث المسرحية.

---

(١) مسرح الطفل ص ١٠٠ كلية التربية الموسيقية سنة ١٩٨٢ ص ٧٣.

٦ – تعمل الموسيقا على تكامل الإحساس الداخلي، ونمو الوعي بالأحداث ومن ثم، فإنها تعطى للنص كل مقومات الفعل التمثيلى الحقيقى.

٧ – وهى قادرة على تطوير الأداء التمثيلى، وإكسابه البعد النفسى المطلوب.

ثانيا – الأدوات الفنية لمسرح الطفل:

أ – التلوين الإضائى (الإضاءة):

هى اللون فى المطلق، وبدون حدود، وتسويرها يعنى القصد إلى التلوين فى الإضاءة، وتحجيمها فى زوايا، وتركيزها على جوانب، وتعبيرها عن المعانى المطروحة خلال الحوار، والمتضمنة فى النص، هى تلك الإضاءة الموظفة مسرحيا..حيث (لا تقتصر الإضاءة فى المسرح على مجرد إنارة خشبة المسرح، ليشاهد المتفرج ما يجرى عليها بوضوح...بل تتعداه إلى تصوير الجو العام للمسرحية...فالضوء الأبيض الباهر يعبر عن الفرح بينما يعبر الضوء الأزرق الخافت عن الحزن. وكذلك تستخدم الإضاءة فى تعريف المتفرج بالتغير الزمنى الذى يحدث أثناء التمثيل كشروق الشمس وغروبها. وهبوط الظلام وغيرها)[1].

وهذا ما يعرف بالمؤثرات الضوئية، وما يمكن أن تؤديه من تراسل بين حجم ولون الضوء، والمعانى، والأحاسيس، والعواطف وما يزخر به الحوار من انفعالات ومقدرة مخرج مسرح الطفل فى إيجاد علاقة فنية بين الإضاءة، والمسرح، هى فى توزيعها يتطلبه العمل نفسه دون أن يركزها أمام الأطفال المشاهدين، أى تحويلها إلى لغة، ورسالة تتعامل مع المشاهد فى توحده مع العمل المسرحى، وانسجامه، مع الجميع فى متابعة العروض...إن خلق التوازن بين الإضاءة وتوزيعها، والعرض المسرحى، يعمل على خلق المخيلة الإيجابية، والعاطفة المتلقية للعمل الفنى...حيث الإضاءة المدروسة فنيا تطور من مخيلة الممثل، وتدفعه المرة بعد الأخرى، لتفجير طاقاته الخالقة من التمرس، فتربطه ربطا عاطفيا بدوره وكذلك المشاهد، لأنها

---

(١) الأطفال والمسرح – محمد شاهين الجوهرى ص ١٠٦.

تصل به إلى الإحساس بالتخيل الذى هو مختلف عن الوهم، وهو التخيل الإيجابى، القادر على العطاء المتمثل فى القدرة على الإبداع، وهو التخيل الواعى. وفى عصرنا هذا، ظهرت تقنيات، جعلت من الإضاءة واستخداماتها، والذكاء، والفن والمقدرة، فى توظيفها، عملا جالبا للمتعة، والنشاط، والاستمتاع للأطفال المشاهدين. فالتقدم فى مجال «الألكترونات» صنع مجالات متطورة لاستخدام أساليب الإضاءة، وأجهزتها.. وقد ساعد هذا على التلوين، والتجسيم. والحركة المتخيلة، وإعطاء «الديكور» ألوانه البهيجة، وتموجاته الجميلة، وتثبيت الفراغات، والتأكيد على المناظر، والمساحيق، والأقنعة، مع عمل أشكال وزخارف، ورسومات توضع على أجهزة الإضاءة، أو تنعكس عليها، فتمنح الطفل جوا فنيا مثيرا، ومذكيا فيه النشاط والالتفاف، وتوقد فيه الحماس لمتابعة مشاهدة المسرح. وهذا يعود من أن (وضع الشرائح المرسومة على جهاز الإضاءة، المعد لذلك، يمكن أن يعطى موج البحر، والحريق، والمطر، والسحاب، والفضاء الكونى. إن استعمال هذه «البروجيكتورات» فى مواضعها المناسبة، يجعل من العرض صورة رائعة لدى الطفل، وتزيد استمتاعه لما يراه)[1]. فتتحقق له بذلك سعادة غامرة.

وهذا كله، فيما يتعلق «بمسرح المساء». أما فى وضح النهار...فإن الأمر مختلف...فالأطفال يميلون بطبيعتهم إلى العروض المقدمة فى وضح النهار..وهنا ينبغى الإكثار من هذه العروض التى تستفيد من الضوء الشامل و لإضاءة الحقيقية وبين أحضان الطبيعة..وهذه تنتشر بالمدرسة والميادين العامة، والحدائق، والحوارى، و«الأجران» لأطفال القرية..وهذا الشكل من المسرح قد عرفه المسرح المتنقل الذى يستخدم الطبيعة فى تجسيم خلفياته، لأن الإضاءة الطبيعية لها طعم خاص.

والإضاءة المسرحية بعامة ومسرح الطفل بخاصة، تتنوع إلى عدة مستويات، وتنطلق من خلفية تنويرية، تنطلق من أنواع من أهمها:

---

(١) راجع: مسرح الطفل ص ٩٧.

١ – الإضاءة الكاملة، أو الشاملة. وهى التى تغمر المكان كله، أى مكان العرض، وتأتى من لمبات مثبتة فى سطح المسرح، أو معلقة. وعادة تكون أكثر لمعانا ووضوحا، وصفاء وقد تتدلى من شمسيات، وتسمى حينئذ بالشمسيات، وهذه تستخدم فى أشكال الفرجة، وفى المسرحيات البسيطة ويستحسن فى هذا اللون من الإضاءة، أن تكون غامرة وشاملة.

٢ – الأماميات، أو المصفوفات، وهى خطوط مصفوفة من اللمبات، مركبة أعلى الستارة الأمامية، وتكون إلى أسفل ليكون ضوؤها مركزا على خشبة المسرح[١]، وهذه تفضل فى أشكال مسرح الأراجوز والعرائس ومسرحيات الاستعراضات الغنائية والمسرحيات التى تحكمها الركة، والألوان.

٣ – الأرضيات، ومصدرها لمبات، توضع فى صفوف أمامية فى مقدمة المسرح أمام الستارة، وتصلح هذه الإضاءة للمسرح الغنائى الراقص.

٤ – الجانبيات، وهى لمبات توضع فى صفوف جانبية متوازية حيث الجانبان المحددان لفضاء المسرح، وتصلح لمسرح الحركة الطليقة، والتشكيلات الاستعر ضية، والرقصات الدائرية الجماعية والفردية.

٥ – الإضاءة الموجهة، وهى الإضاءة الصادرة من نواح مدروسة فنيا، ويقوم المخرج بتوزيعها، وتكوين مؤثرات وتشكيلات ضوئية، اتساعد على بعث الحياة والحركة على العرض ومشاهده، و«الماكياج» وتثبيت المناظر، والتأكيد على «الديكورات» وهذا النوع من الإضاءة يصلح للمسرحيات التاريخية، والخيالية، ومسرح المغامرات...الخ، هذا مع اعتبار أن الإضاءة ليست عملا مكملا لمسرح الطفل..بل جزء منه. ولا يمكن الاستغناء عنها.

---

(١) مسرح الطفل.

ثالثا – زخرفة المكان (الديكور):

والديكور فى المسرح بعامة، عمل أساسى، وعنصر هام..لكنه فى «مسرح الطفل» عنصر أصيل، وجزئى، وعضوى فى البناء المسرحى..كما أنه رمز لتجسيد أفكار، وموضوعات النص المسرحى، وتعبير رمزى عن مضمونه. والرمزية هنا (ترمى إلى تجسيد أفكار مجردة، ورؤيتها فى وقائع، وشخصيات.وقد تكون الوسيلة إلى هذا التجسيد مادة أسطورية، أو مادة واقعية)[١] و«الديكور» مع الملابس، لابد أن يكون فى خدمة النص المسرحى، حيث التاريخ، والأسطورة والخرافة، والمغامرة، والواقع، والطبيعة، والبيئة...كل هذا له «ديكوره» والملابس المناسبة لشخصياته.وعلى المخرج – حينئذ – أن يراجع النص بدقة، بأن يقرأ فى التاريخ، ويتعرف على الواقع، ببيئاته المختلفة، حتى يستطيع ن يهيئ المسرحية للشكل الفنى التعبيرى، وأن يجعل العرض بمشاهده، وممثليه، صورة واقعية لما عليه موضوع النص، وشخصياته، وحوادثه، وبدرجة تكفل للأطفال بخاصة، أن تتفهم، وتتصور، وتعيش الموضوع المقصود، وتستعيد مع الملابس صور الحياة فتعيشها بالعين، كما عاشتها بالسمع.

إن «الديكور» و«الملابس» بمثابة رموز (تعتمد على تلخيص المعنى الذى نحس به فى المرئيات. إما عن طريق ترجمته المباشرة للموضوعات، بتنظيمات مجردة مركبة بعضها مع بعض، أو تكوين أشكال معينة على مساحة مسطحة، بينها علاقات إيقاعية متوافقة، ومتدرجة؛ لإخراج علاقات شكلية فى اتجاهات مختلفة)[٢]. والملابس فوق هذا تحمل معنى التاريخ المستعاد.

والمخرج يستخدم «الديكور، والملابس» كعناصر بصرية نوقية؛ لتكوين لغة خطاب، تفسير للنص.ولما كان الأطفال أصحاب نزوع فطرى للجمال بمظاهره الحسية، كان لزاما على المخرج، أن يهتم بعنصر الفعل، وأبعاده، تجسيدا للأداء التمثيلى المؤثر، وأن يهتم – أيضا – بمعطيات الجمال فى صوره، وديكوراته

(١) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية – إبر هيم حمادة ص ١٦٩.
(٢) الديكور المسرحى – لويز مليكة – الهيئة المصرية سنة ١٩٨١ ص ١٨٢.

وملابس ممثليه، وأن يبرز هذا الجمال فى مساحات تشكيلية زخرفية لونية إذا تطلب المشهد ذلك حيث الجمال الحسى (ينبغى أن يتوافر فى مناظر مسرح الطفل، والجمال الروحى فى قصص الأطفال، يعبر عنه عادة الجمال الظاهرى. وعندما يتذوق الأطفال الصور المسرحية الجميلة، يصبحون أكثر إحساسا بالجمال الذى تحمله إليهم هذه الصور)[1]، وأكثر قناعة بالمدلول الذى يدل عليه المنظر.

وتحقيقا للصور والمناظر والملابس، المراد أن تكون تفسيرا حقيقيا للنص ينبغى على المخرج الاهتمام بما يلى:

١ - جمال الصور والمناظر من الأساسيات فى بناء «الديكور» ومخاطبة وجدان، وأحاسيس الأطفال، وترسيخ حب المسرح فى نفوسهم ويتولد عنها الانبهار.

٢ - الاهتمام بالتلاؤم والتكيف، والتناسب بين «الديكور» ونوع العمل المسرحى المعروض، حتى تتحقق العلاقة الجمالية، والفنية، والفكرية للمسرح بكل أدواته.

٣ - العودة إلى التاريخ وإلى الخيال، وقصص الأساطير، والخرافات المشهورة، حتى يمكن للمخرج أن يشكل «الديكور» المطلوب لكل حسب نوعه، وموضوعه، وشخصياته، وصوره، ومن ثم يصبح «الديكور» فى خدمة النص المسرحى حقيقة...

٤ - مكان العرض، سيحدد للمخرج حجم وطبيعة الديكور والميادين والحدائق، وفصول المدارس...إلخ. ففى فضاء المكان يستطيع المخرج أن يحجمه حسب الحدود المطلوبة.

٥ - الاهتمام بالألوان الزاهية؛ لأنها تمثل أهم عنصر جذب للأطفال.

---

(١) «مسرح الطفل» ترجمة الجوهرى ص ٢٤٤.

٦ – الاهتمام بمرحلة الطفل الزمنية..فلكل طفل اهتمامات فنية، ولـة فنية، وتشكيلية تتناسب، ودرجة نموه الجسمى، والعقلى، والوجدانى ..من ثم يمكن التعرف على هذه الخصوصيات فى النقاط التالية:

أ – من الثالثة إلى السادسة يميل أكثر إلى وضوح الحجم، وتحدد نواحيه، وقوة لمعانه، وصفائه، والإحاطة به من جميع نواحيه وذلك حتى يمكن العمل على وضوح المكونات، والتشكيلات مع ألوان متوازنة لحجم والحدود الفاصلة – حينئذ – لا تعنى التجزى والتقسيم الكامل، وإنما تعنى مقدرة الطفل فى التعرف على الأنواع. بأن يعرف أن المروض أمامه من عالم الطيور الداجنة / أو الطائرة، أو الكاسرة، وإن هذا من عالم الحيوانات المستأنسة، أو المتوحشة، أو الشريرة..وهكذا بالنسبة للأشياء والحجوم، والألوان. وبشرط البساطة، والوضوح، لأن الطفل فى هذه السن وحتى السادسة تجريدى بطبيعته، وهو يحافظ على الخط الخارجى للأشياء ويضيف إلى هذا الخط، كل ما يتشابه حجما أو لونا.

ب – من السابعة حتى العاشرة، يكون أكثر خبرة ومعرفة بالأشياء ومفرداتها ...من ثم تميل التشكيلات الفنية، والزخرفية إلى التعقيد..وتداخل الألوان مع وضوح السمات الخاصة لما يقدمه من مناظر، أو أشكال. لكن مع وضوح فى توظيف تلك الأشكال، بما يمشى ومضمون العمل المسرحى.

ج – ومن سن الحادية عشرة إلى عتبات الشباب تأخذ الزخارف، والأشكال الفنية، والرموز الخاصة بالحيوان، أو الطيور، أو الأشياء تتكون وتركب وتتداخل؛ لتشكل الصورة الحياتية، أو المجتمعية. ويستطيع الطفل – حينئذ – التعامل مع هذه التكوينات، والصورة بلغة الفن التشكيلى التعبيرى، كما يتذوق الأدب المصور، والمواقف، والشخصيات، والأحداث،

عندما يجمعها موقف يومى، أو إنسانى، أو اجتماعى، وهو فى هذه المرحلة، قادر على تفسير، وربط ما يشاهده من تشكيلات.

وفى الإطار العام لديكور «مسرحية الطفل» فإن المناظر، وهى الأساس فى بناء الديكور، ينبغى أن يكون خفيفا، ومن الكرتون غالبا، وملونا بألوان مناسبة لنوع الأثاث الذى يمثله، ويرمز إليه..وحتى يستطيع الأطفال التعامل معه فى حالة قيامهم بنشاط مسرحى...هذا بالإضافة إلى أنواع الأثاث، والمناظر الأخرى..، ولذلك فإن أثاث المسرح، أو المناظر المكونة للديكور تنقسم أقساما من أهمها:

أ - المناظر الثابتة :

ويكون لها القدرة على الدخول فى تكوينات أخرى، وتعتمد على عناصر مادية ذات ثابت مادى وهى - إذن - المناظر التى تتشكل مثلا من «الخشب» و«الألومنيوم»، والجد، والقماش، والورق المقوى وينبغى لألوان، ورسوم هذه المناظر، أن تكون واضحة، ودالة على المقصود، وفى خطوط عريضة، فيها القليل من التفاصيل، والإشارات البسيطة عن نوع المنظر، وطبيعته. وهذه المناظر الثابتة، تدور حول المكان، وطبيعته. والطبيعة المحيطة، وأشكالها، والزمان الذى تدور الحوادث فى دائرته، والعصر الذى يمثل وعاء مرحليا لتلك الأحداث. وهكذا تصبح المناظر الثابتة هى ما يدل على الزمان، والمكان، والطبيعة، كفراغات، وأبعاد، ومستويات من الحجوم المختلفة.

ب - المناظر المشيدة :

ويكون لها القدرة على الجهد المكرر فى اتجاه التكامل، وهى المناظر، والعناصر، والجزئيات التى تتكون، وتتضام، لينشأ منها شكل عام، يوظف لخدمة أحداث المسرحية...، أى هى المناظر القابلة للتكوين، والتجزى والتفكيك، وغالبا ما تتكون من الخشب، أو «الألوميتال» أو «الكرتون المقوى»؛ وتكون دائما، قابلة للتلوين، وتهيئتها لأدوار أخرى.

والأثاث المطلوب «لمسرح الطفل» يتنوع حسب البيئة، والطبقة التى يدور الحدث فيها، ومعظم الأثاث يدور حول، المقاعد، الكراسى، دولاب، منضدة، سرير، ثلاجة، موقد، لمبة غاز، وابور غاز، أطباق فرن، كانون، صوانى، مذياع. سجادة، زهرية، مكتب..وهذه الأشياء التى تكون أثاث المسرحية، ينبغى أن تجمع بين القوة، والمتانة، والخفة، والجمال والتنسيق ومن ثم ما يشكل المناظر. ويكونها عمليات النقر، والزوايا المتداخلة، وألسنة الخشب، والمفصلات...إلخ.

وفى كل الأحوال فإن البساطة هى العنصر الأصيل فى اختيار ديكور مسرح الطفل، لأننا نقصد من وراء بساطة العناصر المكونة للديكور مساعدة أطفال ما بعد سن السادسة فى القيام بأعمال مسرحية إخراجا وتمثيلا وتدريبهم على الاحتراف.

وتتمثل أهمية البساطة – أيضا – فى أن الخامات قد لا تتاح فى كل البيئات مجتمعة لذلك ينبغى الاعتماد على خامات البيئة تحقيقا لاستيفاء الديكور المطلوب.

أما إذا كان العرض المسرحى تقوم به جهة تتولى وتتبنى مسرحا قوميا خاصا بالأطفال فإنها تتحمل مسئولية تقديم عناصر من الديكور تتسم بالإبهار وبقوة الأداء والتعبير عن الحركة المسرحية المصاحبة.

من هذا كله يمكن التفرقة بين نوعين من المسرح. نوع يقوم به الأطفال وهذا يتسم بالبساطة فى كل مراحله وبالذات عناصر الديكور المصاحبة للمشاهد.

والثانى : عمل مسرحى يقوم به المتخصصون ويتوجهون به نحو الأطفال ويمكن لهذا النوع أن يقدم ديكورا مبهرا ذا عناصر مركبة تركيبا فنيا عاليا مثل المناظر التاريخية والملابس والخلفيات والقضاء المسرحى وتلوينه التلوين المناسب وملء هذا الفضاء بعناصر من الديكور تجمع بين الإيهام والحقيقة.

إذن (الفنتازيا) تتاح للمسرح المتخصص والبساطة تتحقق من خلال عمل الأطفال وقيمهم بالعملية الفنية المسرحية.

ج - الأدوات المسرحية :

أى الخامة التمثيلية، التى تنتقل من مجرد الجماد المادى إلى الفعل الحيوى، كما أنها أساس للأدوات الموجهة الفعل التمثيلى، والتى يتكون منها، ومن توظيف الممثل لها الأداء المسرحى، أو الموقف التمثيلى..ومن هذه الأدوات: «السيجارة» و«الكرة»، و«المضرب» و«الساعة» و«القلم» و«الدراجة» و«المطواة» و«الكتاب» و«الصحيفة» و«المجلة»، و«الكشاف» و«الغليون» (البايب) و«القادوم» و«الكماشة» و«الفارة» و«المنشار» ...إلخ؛ ومثل هذه الأدوات، لا يكون استعمالها لمجرد العبث أو شغل الفراغ..وإنما تكون جزءا من الفعل المسرحى، وأداة من أدوات الموقف التمثيلى الذى يتكين عادة من الممثل وأداة التمثيل، والحدث المطلوب..ويتكامل هذا الموقف فى عرض مسرحى أو تمثيلى، وذلك عن طريق تكامل هذا الموقف، مع غيره، وهذه الأدوات، تقوم بوظيفتها الأصيلة..لكن فى إطار الفعل التمثيلى.

د - المساحيق والأقنعة :

و ليس عملا مظهريا..وإنما عمق فنى تجسيدى، ولا يخلو الفن منه، وهو لذلك من لوازم التمثيل والتمسرح، ويكون بإحداث خطوط عميقة أو سطحية، ملونة. أو فى شكل «سحجة» أو «كدمة» أو قناع يخفى الملامح الحقيقية، ويستبدل بها وجها خرافيا تعبيريا..وهذا كله من أجل تغيير الوجه، ليناسب وجه الشخصية المراد تمثيلها، كما أن «الماكياج» و«القناع» من الوسائل والأدوات اللازمة جدا لمسرح الطفل، لما فيها من طرافة، وإبهار، وشد انتباه، ولتحقيق الشكل المطلوب، والتأكيد على واقعية الأداء الشئ الذى يجعل الطفل يعايش قطاعا من الحياة، فالمكياج فن..وليس مجرد أصباغ، وله لغته التى يتعامل على أساسها الفنان...فهناك خطوط للأحزان، والشقاء والإجهاد، وخطوط ودوائر للسعادة والأفراح والهناء، وهناك اللون الأزرق والأحمر والأسود، والتكوينى. لكن هناك أسباب عملية، تستدعى - فوق ما عرفنا - عمل «الماكياج» وهى (أن الأضواء المسرحية قوية لدرجة أنها تمتص اللون الطبيعى للبشرة، فإذا ظهر الممثل على المسرح بلا

مكياج، فإن لونه يبدو باهتا، ولهذا توضع طبقة من «الفندو» وهو اللون المناسب لبشرة الممثل..وذلك بعد غسل الوجه ودهنه بالكريم، ثم توضع طبقة من البودرة من نفس لون «الفندو» وتمسح بفرشاه ناعمة ثم ترسم الخطوط باللون بنى لتبين سن الممثل وحالته النفسية)[١]، ولهذا اعتبر «الماكيير» معادلا فنيـ للمخرج والممثل.

على أنه يجب على فنان «الماكياج» (الماكيير) أن يكون أكثر تأملا، وملاحظة دقيقة، حتى يستطيع أن يحقق ما يصبو إليه النص من صور واقعية، شخوص تتزين بزى الشخصية التى تدور فى إطار أحداث المسرحية..فيستطيع لدقة ملاحظته، ومعرفته الفنية المبدعة برسم الشخصيات، أن يفرق بين الشخصيات..فيعطى كل شخصية ملامح طبقتها، وبيئتها، وطبيعتها الشخصية حتى يمكن للطفل أن يتعرف على الفلاح، والعامل فى بيئاته المختلفة، والطبيب فى أعماله المتنوعة والتاجر، و«الجزار»، والبائعة، والموظف، والأب، والتلميذ.. وهكذا يصبح لكل واحد من أفراد المجتمع حسب طبيعته، وطبقته، وبيئته، والملامح الخاصة به، أو تلك التى تعرف لدى العامة والخاصة بالملامح الشخصية. كما أنها الملامح التى تكسبها الطبيعة قسمات خاصة بمرور الزمن.

المهم أن يتناسب «الماكياج» مع أسلوب إخراج العمل الفنى. ويظل « لماكياج» أداة لتعديل انعكاس الإضاءة على وجه الممثل، ليحميه من اللون الباعث الذى تحدثه الإضاءة بدون «مكياج»، لكن يصبح «الماكياج» هدفا فنيا فى حد ذاته فى مسرح الطفل عندما تكون الشخصية: «شخصية المهرج». حينئذ يتطلب إخراج اعتبار الأصباغ والألوان المتآلفة، والمتنافية – احيانا – هدفا تتطلبه الطفولة..وقد يقوم «القناع» بدور رئيسى وبدون الالتجاء للأصباغ، كما يمكن قياد القناع بإعطاء صور الحيوانات، والطيور، والشخصيات الخرافية والأسطورية..وهذا من ألزم لوازم «مسرح الأطفال» حيث يقرب إليهم صور: الساحر، والعجوز، والغول،

---

(١) الأطفال والمسرح ص ١٠٥.

والعفريت والمارد إلى آخر هذه النماذج التى يتعامل معها أساسا مسرح الأطفال..وهذا التماثل فى الخلفية، لشخصيات مسرح الأساطير، والخرافة يجعل التأكيد على الشخصية، ليس مطلوبا، بقدر التأكيد على النموذج.

رابعا – الوسائط المسرحية الفنية:

يقصد بالوسائط، تلك الانفعالات الداخلية، أو الخارجية التى يستطيع الممثل، أن يستخدمها، ليدل على سلوكه التمثيلى وفعله المسرحى، ويستطيع معها المشاهد أن يتبين خلفية الأداء التمثيلى، والأداء النفسى معا. وتتمثل تلك الوسائط فيما يلى:

١ – الأداء النفسى والالقاء:

حين الإلقاء، خلال عملية الحوار، المسرحى، والتمثيلى، أو المحادثة...يتم إلقاء الكلمات، والجمل: بطريقة تجعل الصوت منبورا فى جملة، أو خفيفا فى جملة ثانية أو مرتفعا فى ثالثة..وهذا التنوع، وشحن الانفعال عند النطق يعطى معنى آخر، يضاف للمعنى العام للنص، ويجعل المشاهد أمام أداء نفسى يظهر فى الأداء اللغوى، أى أن الممثل يعبر عما يفكر فيه بصوته..وبطبقات هذا الصوت، التى تسمح بتنوع الأداء..ومن ثم تنوع المعانى المراد الإفصاح عنها بالنفس، وليس باللغة. وهذا سيفتح للطفل بابا واسعا للمحاكاة، والتقليد، الواصل به إلى إلى الإلقاء الصحيح الجميل..وأن يمنحه قدرا كافيا من التدريب على الأداء اللغوى النفسى...فالطفل حينما يتحدث، أو يناقش، فإنه مطالب بأن يحدد فى سياقه اللغوى، وانفعاله بما سمع وشاهد المعانى التى يقصدها، وذلك بسرعة الإلقاء أو الوصل، والفصل أو الإبطاء، وبتغيير نبرات الصوت. فإذا وجد الممثل أداءه النفسى ناجحا وقد قام إلقاؤه على هذا المنهج، استعاده وقلده. وأصبح قادرا على إملاء معانى نفسه وعقله معا..كما أن الطفل يستفيد من هذا فى تذوق لغته.

٢ - الحركات :

وهى لازمة من لوازم الشخصية، أو لازمة مضافة للموقف التمثيلى والحركة مع الإشارة، تشكل معنى مضافا، ويمكن للمثل أن يؤكد بهذه الحركة على المعنى التمثيلى المقصود، ويساعد على توضيحه للمتلقى بتعبيرية، لكن بشرط ألا تصبح الحركة تقليدية، ولازمة من لوازم الشخصية. التى تعرض، وإنما تكون جزءا من التعبير، ولتصبح تعبيرية، وتجسيدية، وإشارة ذكية إلى المعانى الخفية، وتدور حول توضيح المعنى الخفى وفى خدمة الانتقال بهذا الخفى، إلى رحاب الظاهر.

٣ - الإحساس :

الممثل القادر على توظيف صوته وحركاته هو الممثل الصادق فى التعبير عن أفكاره، ومشاعره، وانفعالاته. ومن ثم يمتلك الإحساس، والقدرة على نقل رسالة التمثيل لدى المتلقى المشاهد.

فالإحساس هو القدرة على تقمص الشخصية، وتجسيد خصوصياتها الزمنية: (عجوز، شاب، طفل، رجل) والطبقية: (غنى، فقير، متحضر، متخلف، مثقف، مدعى) والبيئية: (فلاح، مدنى، شرقى، غربى) والممثل القادر، هو الذى (تتفاوت درجات انفعاله، تبعا لكل شخص. والحزن والأسف والألم والسخط كلها انفعالات تجعل الإنسان منطويا على نفسه، والفرح والدهشة والإعجاب بالنجاح، والصحة تجعل الإنسان منطلقا متفائلا)[١] فالإحساس بهذا جزء من الشخصية، وفى متناول عالمها الداخلى.

فالإحساس لهذا كان عنصرا هاما فى تكوين الانفعالات، والحركات والإشارات، لتكون فى خدمة بناء الشخصية، وقوة التعبير عنها ... ويبقى أن أقول للمشتغلين «بمسرح الطفل» إن الطفولة، والمسرح شيئان ينبغى أن يكونا شيئا واحدا، هو شكل فنى موظف للتعبير الصادق الأمين الواضح عن الطفولة،

---

(١) الأطفال والمسرح ص ٧٠.

وخصائصها، ومراحل نموها.. وهذا هو واجب كل مشتغل بالعمل فى مسرح الطفل، سواء كان كاتبا، أو مخرجا، أو ممثلا...بحيث يدرك كل واحد رسالته، وهى التأثير الإيجابى فى وجدان الأطفال، وعقولهم، وسلوكهم، واختياراتهم، ومواقفهم، وطريقة استيعابهم وعلاقاتهم بمعارفهم، وبهذا يمكن تربية البنية الأساسية للمجتمع.

فشغف الأطفال بالمسرح، وبأشكاله المختلفة، من الفرجة إلى الفكرة، وبما يسود هذا كله من لون زاه، وحركة لفيفة نشيطة طليقة، يضاف إلى ذلك فنية «الديكور»، وحرفة مصممه، فى خلق النماذج الخداعية للبصر، والنغم الموسيقى، وتلوين الإضاءة، وإيقاع الرقص، والفنون التشكيلية المكملة، يجعلنا أكثر مسئولية، ونحن نفكر باحثين عن نص مناسب، أو إخراج واع، أو تمثيل حساس أو أدوات مستخدمة استخداما عارفًا بمعطيات المرحلة، وأطفالها، والمجتمع وتوجهاته.

وإذا كان من طبيعة الأطفال الموهوبين، أن يندمجوا، بكل عواطفهم فى عالمهم المسرحى، بكل أدواته، وتقنياته، فإن ذلك قد يساعد على خلق وعى ونشاط مسرحيين..لكن رسالتنا هى فى التعامل، مع الأطفال العاديين الذين يصلون إلى الإحساس بالتخيل الواعى، وبالأثر القوى للمسرح عليهم، وذلك من خلال مخيلة مدربة على تذوق فنون مسرح الطفل، والأخذ بيدهم نحو آفاق المسرح بكل أشكاله وصياغاته.